Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقد مضى جبرا، والحرب العالمية الثانية مشتعلة، إلى مسقط رأس شكسبير في ستراتفورد اون فون، وخطّ اسمه حيث يحرّم على أحد أن يفعل، وحضر عروض الموسم الشكسبيري وموسم الباليه، وخالجه الشعور بأن الأمير الدانماركي هاملت يتوحد به كلما ناجى نفسه أواختلى بحبيبته أوفيليا. وهنا تأتي جين هاريسون التي يخيل لها أن جبرا هو هاملت، كما يخيل لها أنها أوفيليا: "وقضينا أياماً في أحراش شكسبيرية ملأى بشموس متفجرة".

هذا التنامي في التعبير المجازي يمضي من تلبّس الحب والجنس بالثقافة إلى التجريد، في فصل (سيدة البحيرات). فقد مضى جبرا في ربيع 1940 إلى منطقة البحيرات، حيث بدايات الحركة الرومانسية في مطلع القرن التاسع عشر، وتوحّد بشعراء البحيرات، وهو المسكون منذ القدس بكولردج وشلي وكيتس ووردز ويرث. ويهيئ الشعر والطبيعة لجبرا تلك المرأة التي تبادره كما بادرته جين هاريسون، فإذا بسيدة البحيرات تحسبه رؤيا، وهو يقرأ لها باسم المسيح بالآرامية والعربية مأخوذاً بصورتها وصوتها، وفجأة يدرك أنها رؤيا وخلاصة النساء اللواتي أحب، واللواتي صوّرهن أولاء الشعراء. ومن بعد، سيعود التعبير المجازي إلى ما رأينا مع برناديت وغلاديس وجين، حيث يكون جبرا قد أوفى دراسته في بريطانيا وعاد إلى بغداد. وجلّ ذلك سيأتي في الفصل السادس المعنون بـ (لميعة والسنة العجائبية).

***

يبتدئ هذا الفصل بقصيدة أهداها جبرا إلى تلميذته (أ) التي أحبها عام 1949. عشية السنة العجائبية (1950)، ويلي القصيدة قوله: "ولا ريب أنني طوال السنة اللاحقة رحت أتمتع بوهج ما، بسبب إحساسي بما راح يحيط بي أخيراً من هذا الجمال الفتي الذي يتبدى لي في حالة غسقية بين الوهم والحقيقة، ألمسه ولا ألمسه، ويتيح لي أن أعرف فيه ذلك الجموح الحسي المتأجج شباباً ونضارة –ذلك الجموح الذي لم أكن أدري أنا فيه المطارد أم الطريد".

في السنة العجائبية سيلتقي جبرا بلميعة العسكري، وتهمي في مقاطع هذا الفصل ذكريات كيس النبق وضحكة لميعة وموقف أمها الحذر منه ومعارضة أسرتها لزواج العاشقين، والتهاب العشق بينهما في غمرة الفورة الثقافية، وصولاً إلى الزواج الذي يعتنق جبرا من أجله الإسلام.

لقد توازى حب جبرا للميعة وتلك الطالبة، وعاد إليه حلمه القديم منذ القدس بعارية ولابسة وأقنعة بشرية، فكتب "وأصبت بذلك البلاء الذي عرفته زمناً وأنا